التوصيف الواضح للمعلم الناجح

د. يوسف سليمان الطاهر(*)

مُقَدِّمَة:

لقد شاءت لي إرادة المولى، أنْ أعمل لفترة ومدى ، معلماً بمعهد التربية ببخت الرضا ، وأذكر أني قدمت إليه عن رضى ، وأنا قادم من غرب وطني الأقصى ، ومنذ الوهلة الأولى ، وفي المبتدا كُلفت بتقديم دروس نموذجية ، في مضمار اللُّغة العربية ، وكنت وبشهادة ، أمتلك المادة باستجادة، أما الطريقة فقد كانت عندي غليقة ، سيما وأنَّ المعلمين المعنيين ، علمت بأنهم منتقون ومختارون ، " فكيف أعلمهم بضب وهم له يحرشون "؟!

المهم أني أذعنت وعكفت ، واجتهدت فحضرت ثم قدّمت الحصة ، ويا لها من قصة ، إذ بعد أنْ كنت أخشى الغصة ، إذا بي أمنح مباشرة الرخصة، فحمدت الله وشكرته على هذا الذود ، سيما من الشعبة التي يرأسها عَلَم طود، يقال له وداعة عكود ، ومن يومها صرت صديقاً للعلوم التربوية ، لصيقاً بمجالاتها النظرية والعملية ، حتى إني حضرت فيها دراساتي العلية .. ثم إني قد أزمعت في نفسي ، ووطنت في قلبي ، أن تكون دراساتي وكتاباتي متجهة وبنحو مسيس ، إلى ميادين التربية وطرائق التدريس ، ومن هنا كان مكتوبي عن التحضير ، باعتبار أنه ظهير ، وللمعلم نصير ، ثم كان هذا المكتوب وهو:

(*) أستاذ مشارك بجامعة أم درمان الإسلامية، يعمل حالياً "معاراً" بكلية المعلمين في مكة المكرمة، قسم المناهج وطرق التدريس.

"التوصيف الواضح، للمعلم الناجح " ورجائي للمانح ، أن يلقي منك القبول السانح ، والتوجيه الناصح ... ثم الدعاء الصالح .

الفصل الأول
شرف العلم والمعلم

ماهية التعليم :

إنَّ من أجل المهن وأشرفها ، وأعظمها وأنفسها ، لهي مهنة التعليم ، وإنه لذو حظ عظيم ، من يعمل فيها ويقيم ، ويسهم فيها على نحو سليم ، ولسوف يؤوب بالحسنى والأجر التميم ... وكيف لا وهي مهنة الرسل والأنبياء ، ومن تأسى بهم من الخيرين الفضلاء ، وحسب المعلم فخراً ، وأجراً وذخراً ، أن يكون وريث المرسلين ، ليبلغ هدي رب العالمين ، إلى المخلوقين ، كي تكون لهم أجمعين ، المفازة يوم الدين .

ولقد أطلق أحد التربويين على مهنة التعليم اسم " المهنة الأم " وبرَّر ذلك بقوله " 'إنها تسبق جميع المهن الأخرى ، كما إنها لازمة ، وهي بذلك تعتبر الأساس الذي يمهد للمهن الأخرى ، ويمدها بالعناصر البشرية المؤهلة علمياً، واجتماعياً، وفنياً، وأخلاقياً"[1].

(١) محمد عبد العليم موسى: المعلم والمنهج وطرق التدريس ، دار العالم للكتب والنشر والتوزيع ، ط ، ١٤٠٥هـ ، ص١٥ .

ويقول آخر عن التعليم بأنه مهنة " ذات قداسة خاصة توجب على القائمين أداءها حق أدائها : إخلاصاً في العمل ، وصدقاً مع النفس ومع الناس ، وعطاءً مستمراً لنشر العلم والخير ، والقضاء على الجهل والشر "[1].

طبيعة المهنة :

ما أورده العالم المشار إليه أعلاه يقودني إلى أن أعرضَ إلى مسألتين رئيستين تكلم فيهما عددٌ من التربويين ، وأفاضوا في الحديث عنهما وهما :

الأولى: العلاقة بين بعض المصطلحات التربوية مثل : " التعليم والتدريس، والتعلم ومدى الاختلاف فيما بينها "[2].

الثانية: وتتعلق بالكلام عن طبيعة مهنة التدريس " أهي علم أم فن "[3].

ولست أجدني في حاجة لأقف طويلاً بالمسألة الأولى لأنها تتكلم عن مصطلحات ودلالاتها ، ولا مشاحة في المصطلحات ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فالألفاظ المذكورة تشير إلى الحدث : " التعليم ، التدريس " مصدر علَّم ودَرَّس " وأنا أرمي إلى " المُحدِث " وهو الفاعل حيث إن له عدة تسميات – وقد علمنا أن كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى – مثل : المعلم ، المدرس ، الشيخ ، المؤدب ، وحول التسمية الأخيرة ورد قول لأحدهم حين سئل : نراك

(١) مطر بن عايد العنزي: المرشد المفيد للمعلم الجديد ، دار طريق للنشر ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م، ص١٧.

(٢) عبد الحي أحمد السبحي: طرق التدريس واستراتيجياته ، دار زهران للنشر والتوزيع ، جدة ، السعودية، ط/١ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، ص ٩.

(٣) عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني، دار المعارف بمصر ، ط٧، ١٩٧٣م ، ص٢٣.

تحترم مؤدبك أكثر من احترامك لأبيك ؟ فأجابهم " أي بلى أما أبي فإنه سبب حياتي الفانية ، وأما مؤدبي فإنه سبب حياتي الباقية .!! وفي هذا يقول الشاعر :

فهذا مربي النفس والنفس جوهر وذاك مربي الجسم وهو له صدف[1]

أما المسألة الثانية فهي جديرة بالحديث ذلك أن التدريس " علمٌ هو أم فن"؟ دار فيه جدال ، وكثر الكلام عنه وطال ، فعالم مثل " بيديل " قطع فيه بقول خطيب وقال إنه " فن "[2] وآخرون قالوا إنه علم .

ولكي نصل إلى الحقيقة وهي " ضالة المؤمن " يحسن أن أورد تعريف كل من العلم والفن ، ليكون " الحكم على الشيء فرع عن تصوُّره " كما يقولون. فقد عرَّف صاحب كتاب" التربية الإسلامية وفن التدريس "[3] العلم بأنه: "المعلومات والحقائق التي تقدم إلى الطلاب ، بإشراف المدرس وتوجيهه ومتابعته" .

كما عرف الفن بأنه : " الأسلوب ، والطريقة التي يسلكها المعلم لتوصيل المعلومات والحقائق إلى الطلاب " .

ولقد خلص الكاتب إلى أن قوام التدريس : " العلم والفن " وأضاف إليهما "الموهبة والأخلاق " وذات النتيجة التي توصل إليها العالم المذكور قال

(١) أورده الصفدي في الوافي بالوفيات، ٥٠٦/١.

(٢) إمام مختار حميدة وآخرون: مهارات التدريس ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، دون ط ، ص٤٥ .

(٣) عبد الوهاب عبد السلام طويلة: التربية الإسلامية وفن التدريس ، دار السلام للطباع والنشر والتوزيع والترجمة ، مصر ، ط١ ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ، (ص المقدمة) .

بها صاحب كتاب " التوجيه الفني " بأن التدريس " علم وفن " إلا أنه أضاف بأن العلم مردُّة إلى العقل ، والفن مرده إلى الذوق[1]... ويجدر بالذكر أن الصفتين المذكورتين - العلم والفن – هما الركيزتان الرئيستان اللتان يلزم أن يقوم عليهما المعلم وهما " الطبع والصنعة ". وسيأتي الحديث – فيهما – تفصيلاً لاحقاً (بإذن الله تعالى).

عظمة المهنة :

مهما حاولت - أنا أو غيري – أن نحصي للمعلم سيبه ، وأن نستوفي عليه آلاءه وأفضاله ، فذلك بعيد بعد السماء ، ومحاولته كمن " يرقم على الماء " . ومهما يكن فإنه ليكفي المعلم فخراً ومقاماً ، أن المولى جل وعلا قد ذكر فضل العلم والعلماء في محكم تنزيله الكريم ، وكتابه العظيم إذ جاء التقريظ بشأن – المعلم والعلماء – في أكثر من حديث لنبينا المصطفى عليه الصلاة والتسليم ، كذلك فإن ثمة درراً وُضَّاء ، من أقوال الحكماء ، وأشعار الأدباء ، حول الموضوع نفسه ، عينه وذاته ، وهأنذا أورد أدناه شواهد من كل ما أوردت في هذا المقام ، ليكون لكلامي زمام وحطام .

أولاً : شواهد من القرآن الكريم[2] :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]،

(١) عبد العليم إبراهيم: مرجع سابق ، ص٢٤.

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ص٢٠٠٢م .

وقال أصدق من قائل: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩]، وقال الحق جل وعلا : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦٦]، وقال جل جلاله ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩]، وقال الحق تبارك وتعالى : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ٥]، وقال ربُّ العزة جل وعلا ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه: ١١٤]، وقال ربُّ العزة: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل: ٤٣].

تلك عشر آيات مباركات من كتاب الله الكريم ، وواضح إنها كلها تُعلي من شأن العلماء والتعليم ، فأكرم بهدي القرآن العظيم ، وطوبى لمن يمسك به ويستقيم .

ثانياً : شواهد من أحاديث الرسول ﷺ[1] :

يقول الرسول الكريم : (إنما بعثتُ معلماً)[2] ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (العلماء ورثة الأنبياء)[3]، ويقول المعصوم عليه الصلاة والسلام: (من يُرد الله به خيراً يفقه في الدين)[4]، ويقول المصطفى عليه الصلاة والسلام (من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم .. الحديث)[5]، وقال الصادق الأمين : (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم)[6] وقال نبي الرحمة : (يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء)[7]، وقال خاتم الأنبياء والمرسلين: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[8]، ويقول نبيُّ الهداية : (بلغوا عني ولو آية)[9]، وقال نبي الأمة، وكاشف الغمة: (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من

(١) يوسف القرضاوي: الرسول والعلم ، دار الصحوة ، دون (ط) أو (ت) بتصرف.

(٢) رواه ابن ماجة ، كتاب المقدمة ، حديث رقم (٢٢٥)، وإسناده ضعيف.

(٣) رواه الترمذي كتاب العلم حديث رقم (٢٦٠٦)، وسنن أبي داود، برقم ٣٦٤١، ٣٤١/٢ .

(٤) رواه البخاري ومسلم " الصحيحان " .

(٥) رواه الترمذي برقم ٢٦٨٢، ٤٨/٥، وأبو داؤد وغيرهما .

(٦) رواه الترمذي، برقم ٢٦٨٥، ٥٠/٥.

(٧) رواه البيهقي في شعب الإيمان، ٢٦٥/٢، وضعَّفه الألباني، وثال: إنَّه موضوع، في الجامع الصغير، ٤٩٦/١.

(٨) رواه مسلم وغيره .

(٩) رواه البخاري .

نار)[1]، وفي خيرية تعلُّم القرآن وتعليمه يقول عليه السلام: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[2].

تلك عشرة أحاديث شريفة من أحاديث نبيا المصطفى ، خير الورى ، في الآخرة والأولى ، وواضح فيها إكرام العلم وأهله ، وتعظيمه وإجلاله ، فهنيئاً لمن أخذ به ، وعمل بهديه .

أما ما ورد بشأن العلم والعلماء ، في كلام الأدباء والحكماء فدونك نماذج تترى[3]، وصدق النبي المصطفى : (إن من البيان لسحراً وإن من الشعر حكماً)[4].

[١] مما جاء في فضل العلم وينسب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قوله :

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاءُ
وقدر كل امريء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
فخد بعلمٍ تكن حيًّا به أبداً ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

[٢] وقال شاعر يقال له " ابن الجراح " ليدلل على أن العلم حياة لنفس:

---

(١) رواه أبو داؤد والترمذي .

(٢) رواه البخاري .

(٣) محمد علي الصابوني: المقتطف من عيون الشعر ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ، بتصرف .

(٤) سنن أبي داود، ٧٢١/٢، وصحيح ابن حبان، ٩٦/١٣، وفي رواية البخاري في الأدب المفرد، ٣٠١/١، والطبراني في المعجم الكبير، ٢٦٠/١: وإن من الشعر حكمة .

ربَّ ميْـتٍ قـد صـار بـالعلم حيَّـا ومُبقَّـىً قـد حـاز جهـلاً وغيَّـا
فاقتـنـوا العلم كي تنالوا خـلودا لا تعـدُّ الحياة في الجهل شـيئاً

[٣] وقال حافظ إبراهيم في الحث على العلم والأخلاق :

لا تحسـبن العلـم ينفـع وحـده مـا لم يتـوَّج ربُّـه بخـلاق
والعلـم إن لم تكـتـنـفه شـمائل تعليـه كـان مطية الإخفـاق

[٤] وقال شاعر لم أقف باسمه[1] " في الحث على العلم والتأدب " :

كـن ابـن مـن شـئت واكتسـب أدبـاً يغنيـك محمـوده عـن النسـب
إنَّ الفـتى مـن يقـول هأنـذا ليـس الفتى من يقول كان أبـي

[٥] وقال القاضي الجرجاني في الحض على احترام العلماء لعلمهم وبالتالي لأنفسهم:

ولـو أنَّ أهـل العلـم صـانوه صـانهم ولـو عظمـوه في النفـوس لعظمـا
ولكـن أهـانوه فهـان ودنسوا مُـحَـيَّـاه بالأطماع حتى تجهَّمـَا

[٦] وقال الإمام الشافعي في الحث على مواصلة التعلم والتزود منه :

كلمـا أدبـني الدهـر أرانـي نقـص علمـي
وإذا مـا ازددت عِلمـاً زادنـي عـلماً بجهـلي

[٧] وقال الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي في الاستحثاث على العلم والتعلم:

العلـم يـا قـوم ينبـوع السـعادة كم هدى وكم فك أغلالاً وأطواقا

(١) نسب بعضهم الأبيات إلى الحجاج بن يوسف في خبرٍ، ونسب إلى أبي العتاهية في كتاب جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، ٣١٢/٢ (والله أعلم) .

فعلموا النشء علماً يستبين به سُبْل الحياة وقبل العلم أخلاقا

[٩] وقال أبو الأسود الدؤلي وهو يهتف بأن يتبع المعلم القول بالعمل :

يا أيها – الرجل – المعلم – غيره هَّلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى كيما يصح به وأنت سقيم

إلى أن يقول :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

[١٠] ومسك الختام في هذا المقام أبيات أمير الشعراء أحمد شوقي في تكريم المعلم ، وهي أبيات حسان ، لشاعرها الرضوان :

قم للمعلم وفِّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

أعلمت أشرف أو أجل من الذي يبني وينشئ أنفساً وعقولا

سبحانك اللهم خير معلم علمت بالقلم القرون الأولى

أخرجت هذا العقل من ظُلُماته وهديته النور المبين سبيلا

وطبعته بيد المعلم تارةً صَدِيءَ الحديدُ وتارةً مصقولا

تلك كانت عشرة نماذج حِكَمية ، بل وذهبية في حق المعلم ، مشعل الضياء، ومبدد الظلماء ، فهو بعد الأنبياء ، الأولى بالحِباء ، والتجلة والثناء ، والمحبة والوفاء " وإذا عز المفدى عزم الفداء " .

الفصل الثاني

المعلم الناجح: صفاته ، وإعداده ، وتدريبه

المعلم هو حجر الزاوية في العملية التعليمية التربوية ، وهو الركن الرئيس فيها ، وهو " العنصر الأساسي في الموقف التعليمي ، المهيمن على مناخ الفصل الدراسي وما يحدث بداخله ، وهو المحرك لدوافع التلاميذ والمشكل لاتجاهاتهم عن طريق أساليب التدريس المتنوعة "[1].

ومن وجهة نظر (آخر) أن المعلم هو من " يقوم بعملية التربية والتعليم، حيث إنه ينقل لتلاميذه المعارف والحقائق ، ويُكَوِّن لديهم مفاهيم معينة ويكسبهم العديد من الميول و الاتجاهات ، والقيم والمهارات المختلفة ، كما يسعى المعلم إلى إحداث تغيرات عقلية ووجدانية ، ومهارات أدائية لدى طلابه"[2].

كان ذانكما المذكوران يعطيان صورة بينة لحقيقة المعلم ومهمته ، وإذا كان ذلك كذلك فيلزمني أن أعرض وبتفصيل الصفات اللازم توافرها في المعلم ، وإذ تتوفر لديه فهو المعلم الناجح ... فإليكها :

أولاً : الصفات الجسمية :

[أ] الصحة والسلامة الجسمية : لابد أن يكون المعلم صحيحاً وسليماً ومعافيً من الأمراض الجسمية ، ما كان منفراً منها مثل البرص والجذام

(١) حسن شحاتة: تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق ، الدار المصرية واللبنانية ، ط٤ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م ، ص٤١٥ .

(٢) عبد الرحمن عبد السلام حامل: طرق التدريس العامة ومهارات تنفيذ وتخطيط عملية التدريس ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، ط٣ ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢ م ، ص١٧ .

وغيرهما - والعياذ بالله – أو كان مرضاً لا يُمكِّن المعلم من الأداء ولا المتعلم من التلقي ، مثل البخر والسلس الملازمين - أجارنا الله - ، وفي رأيّ أن الشخص الذي به واحدة من هذه العلل المذكورات يفتقد قولاً واحداً " القدرة على ممارسة مهنة التعليم . ومن ثم فابتعاده عنها يكون فيه عين الحكمة منه ، ورجاء السلامة لغيره .

[ب] سلامة الحواس : وهي مفاتيح المعرفة كالبصر والسمع والكلام وثمة – الشم واللمس - لتكتمل الحواس الخمس .. فالمعلم لابد أن يكون سليم الحواس بحيث يبصر الأشياء ويخاطب الأحياء ، ويسمع النداء ، وبذلك يتسنى له العطاء ، والعمل والأداء ... فإذا ما افتقر الشخص إلى واحدة من هذه الحواس يصبح فاقداً للأهلية ، وغير صالح لممارسة المهنة التعليمية .

ولقد أشير إلى أن هناك من يرى أن فقدان حاسة البصر لا يمنع من ممارسة مهنة التدريس ، ويستدلون ببعض من أفقدهم الله حاسة البصر على مر العصور والدهور ، ولكنهم – مع ذلك – ذوو عطاء متوقد ، وأداء متفرد ، ويستشهدون بأناس من أمثال : بشار ، وأبي العلاء ، وعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين وغيرهم ... واذكر مرة أن أحد طلابي قد ناقشني حول هذه القضية ، وطلب مني مقولة شفية .. وأقول نعم فإن المولى جل وعلا له في خلقه حكم ، هو بها أعلم ، فلقد يُفقد عبده حاسة معينة ، ويعوضه مقابلها أضعافاً مضاعفة ، ولعل هذا الذي حدا ببشار لينشد مفتخراً ويقول :

عَميتُ جنيناً والـذكاء مـن العَمَـى فجئت عجيبَ الظن للعلم مَعقلا

ومع الإقرار بهذا الواقع ، وأن مشيئة الله ليس لها مانع ، إلا أنني أقـول مـا سبق أن قلت – إن جميع الحالات المذكورات وغيرها كثيرات ، إنما هي اسـتثناء ، ولكن الأصل أن يكون المعلم سـليماً " بصـراً وسمعـاً ونطقـاً " ليـؤدي عملـه بكفاءة وأهلية ، ونجاعة وفاعلية .

[ج] أن يكون المعلم سليم النطق: معافيً من أمـراض اللسـان والكـلام بحيث تكون مخارجـه سـليمة ، وتأديتـه للحـروف قويمـة ، وهـذه مسـألة مهمـة وضرورية ... وذلك لأن الحروف في اللغة العربيـة بالـذات ، فيهـا متشـابهات مثل : السين والصاد ، والزاي والذال ، والقاف والغين وهـذه الأخـيرة ، بصـفة خاصة تحدث مشكلة في النطق لدى كثير من السوادنيين ، ولقد ووجهت بهـذه الحالة لدى العديد من طلابي خلال المدارس التي دَرسَّـتُ فيهـا بالمراحـل الـتي عملت بها .. والعلاج في هذه الحالة كما يرى علماء التربية ، يقوم علـى أسـس نفسية تربوية ، وليست طبية مشرطية ، ولقـد تكـون ثمـة إضـافة لـذلك وتُعـدُّ ضمن وسائل المعالجة ، وهي الثنائيات الصغرى للمتشابهات مثل : ثمـر وسمـر ، وصال وسال وزاد وذاد وقال وغـال . كـذلك يمكـن الاسـتعانة بالكلمـات ذات التكرار ، لتؤدي إلى الصواب المختار ، مثل :

قولي يقلقل القاف قلقلة وقول غيري يغير القاف تغييراً

ومثل قول المتنبي:

فقلقلتُ بالهمِّ الذي قلقـل الحشـا قلاقــلَ عــيسٍ كُلُّهــن قلاقــل

أخلص من هذه النقطة إلى أنه من الضروري واللازم جداً أن يكون المعلم مبرءًا من أمراض الكلام ، والتي ذكرها الثعالبي في كتابه " فقه اللغة العربية وسر العربية " وعدها أحد عشر مرضاً وهي : " الرُتَّة واللكنة والهتهتة ... واللثغة والفأفأة والتمتمة واللفف واللیغ واللجاجة والخنخنة والمقمقة[1] وكذلك تكلم عنها الجاحظ ، وذكر صوراً ونماذج لها تثير القهقهة ، وتدعو إلى " الحوقلة"[2]... وحين يكون المعلم ذا مخارج صحيحة ، ويخرج الحروف بصورة فصيحة ، فإن مهمته والتدريس ستكون ربيحة ، وتلكم هي الغاية الصبيحة ... ولقد أضيف إلى هذه النقطة مسألة هامة ألا وهي تناسب الصوت بمعنى أن يكون صوت المعلم معقول الوقع على السامعين ، فلا يكون منخفضاً أسيفاً لا يكاد يسمع ، ولا يكون كذلك مرتفعاً مدوياً يزعج ويُفْزِع .

كما قال ابن الرومي يذم مغنَيًا على جلبة صوته :

ومُسمعٍ لا عدمتُ فرقَته ... فإنها نعمةٌ من النعم
يطول يومي إذا قُرِنت به ... كأنني صائم ولم أصُم
يفتح فاه من الجهاد كما ... يفتح فاه لأعظم اللُّقم
يُفزِّع الصبية الصغارُ به ... إذا بكى بعضُهم ولم ينم

(١) أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، دون (ط) أو (ن) ص ٢١٠ .

(٢) هي قول : "لا حول ولا قوة إلا بالله". أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين ، دار الجيل ، بيروت ، دون ط ، ودون ت ، ص٢١٠ .

المهم أن يراعي المعلم حال طلابه فيكون صوته عند إلقاء الكلام ، على قدر المقام .

[د] النظافة وحسن السمت : إذا كانت النظافة مطلوبة من الناس أجمعين، فهي من باب أولى مطلوبة من المعلم لأنه يمثل القدوة والأنموذج للآخرين، سيما طلابه ، ومن هنا فإن على المعلم أن يعني بمظهره - نظافة، وأناقة وتطيباً - تماماً مثلما يعتني بجوهره، فإن انتقاص أيٍ منهما يضر بالآخر وقد قيل:

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوس

وفي هذا الصدد يقول ابن جماعة : " فالمعلم إذا عزم على التدريس، وحضر مجلسه تطهَّر من الحدث والخبث وتنظف وتطيب ، ولبس أحسن ثيابه اللائقة به من أهل زمانه قاصداً بذلك تعظيم العلم ... ويضيف موصياً من يدخل على الشيخ ـ المعلم ـ بأن يكون كامل الهيئة متطهر البدن والثياب نظيفها بعدما يحتاج إليه من أخذ ظفر وشعر وقطع رائحة كريهة ، لا سيما إن كان يقصد مجلس العلم فإنه مجلس ذكر ، واجتماع في عبادة "[1].

ولقد أوصى الإمام أبو حنيفة تلميذه أبا يوسف البصري بالاهتمام بصفات العلم والمعلمين فقال : " وعليك بالمداراة والصبر والاحتمال ، وحسن الخلق وسعة الصدر ، واستجد ثيابك واستفره دابتك ، وأكثر من استعمال

(١) بدر الدين ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م ، ص٩٥ .

الطيب"[1] واختم بأن أذكَّر نفسي وغيري بأن " النظافة من الإيمان " وأن "الله جميل يحب الجمال" ولنتأمل قول من قال :

تجمل بالثياب ولا تبالِ ... فإن اللبس قبل الاختبار

فلو وضع الثياب على حمار ... لقال الناس يالك من حمار

ثانياً : الصفات العقلية :

العقل هو مناط استيعاب العلم واكتنازه بغية الصدور عنه ، مثلما هو مناط التكليف وقد جاءت المقولة المشهورة "إنما سُمِّي العقل عقلاً لتعلقه" وفي هدى الرسول ﷺ لصاحب الدابة : "اعقلها وتوكل" ، وإذا كان هذا هو شأن العقل ، فيقتضينا أن نعرف كيف يكون تعامل المعلم به ومعه ؟:

[أ] القراءة ومداومة الإطلاع: إن أول ما يجب أن يأخذ به المعلم – وهو يمارس مهنة التعليم – أن يتعهد نفسه بالقراءة الدائبة ، والمطالعة الثاقبة ، ليزداد علماً ، ويتزود معرفة ونفعاً ، وليضَع نصب عينه ، ويذعن في أعماق قلبه ، إن " كل إناء يضيق بما فيه إلا إناء المعلم فإنه يتسع " وإنه " ما يزال الرجل يطلب العلم ، فإن ظن أنه علم فقد جهل" فلابد له أن يقرأ ويقرأ ويتخذ من الكتاب رفيق دربه وأنيس حياته ، وقد قال أبو الطيب المتنبي :

أعز مكان في الدُّنا سرج سابح ... وخير صديق في الزمان كتاب

(١) عبد الله محمود: إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية ،دار البخاري، المدينة المنورة ، ١٤١٥هـ ، ص٢٦٤ .

والمعلم حرٌّ في انتقاء ما يقرأ طالما غايته الاستفادة والإفادة ، ولكني أوصيه بموجهين اثنين :

أولهما: يتضمنه قول الشاعر :

لن ينال العلم كّلا أحدٌ لا ولو عاش ألف سنة

إنما العلم عميق بحره فخذوا من كِّل شيءٍ أحسنه

والثاني: مضمن في الحكمة المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " كرم الله وجهه " قيمة المرء ما يحسنه" .

ولا يخفى أن بيتي الشاعر الأولين فيهما دعوة صريحة للمعلم بأن يكون موسوعي الثقافة بالقراءة في كل ما يفيد ، ويؤدي به إلى علم مزيد ، وهذا مما يراد في المعلم بكل تأكيد ، أما الحكمة فواضح منها أنها تدعو المعلم إلى التمكن من مجال تخصصه ، حتى يكون بارعاً ومتمكناً منه وفيه .

وهذا أمر جد مطلوب، وعلى المعلم التزامه على سبيل الوجوب لا المندوب .

[ب] الذكاء : إن مهنة التعليم مهنة عقلية ، ولذلك فإنها تتطلب أن يكون المعلم على مستوى عال من الذكاء ورجاحة العقل حتى يستطيع التعامل مع الطلبة الذين تتمثل فيهم الفروق الفردية المختلفة[1] ومع الذكاء لابد من أن تتوافر في العلم القدرات العقلية الأخرى مثل : التصور والتخيل والاستيعاب والإدراك والفهم ... الخ ، فلازم أن يكون له من كل نصيب ، ليجوِّد أدائه

(١) محمد صالح جان: المرشد النفيس في أسلمة طرق التدريس ، دار الطرفين، الطائف ، السعودية ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م ، ص٣٧ .

ويصيب ... وإلى ذلك فإني أفتأ أدعو المعلم بأن يعنى بالحفظ والاستظهار ليكون لديه رصيد مقدر من المعرفة يصدر به ، وينفق منه ورحم الله القائل : " من أراد أن يحوز الفنون ، فعليه بحفظ المتون " وعلى المعلم – بعد كل ذلك – أن يكون لماحاً سريع البديهة وقّاد القريحة، قوي الملاحظة ذا ذهن محضر ، كأنه المدعو حبتر ، حيث ورد في بيت يذكر وهو :

فأومأتُ إيماءً خفِّياً لحبتر فللـه عينا حبتر أيما فَتَى

[ج]السؤال للتعلم : يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل: ٤٣]. وأُثِرَ عن النبي ﷺ إنه قال : إنما شفاء العي السؤال ، ويروى أن ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن (رضي الله عنه وعن أبيه) أنه سأله أحدهم ذات يوم : " بم أدركت ما أدركت " ؟ فأجاب: "بلسان سؤول ، وبقلب عقول ، وبأنني إذا وجدت أحداً أخذت منه وأعطيته" سقت هذه الخلفية الأساسية لأصل إلى أن المعلم ينبغي عليه أن يسأل غيره من أهل الخبرة والمعرفة عما ندَّ عنه ، وأشكل عليه ، وليس عليه أن يجد في نفسه أدنى حرج في ذلك ، فإن الملائكة لم تستح حين كان ردهم على المولى جلَّ وعلا في الآية ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى

بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢].

وقد نسب إلى الإمام علي كرم الله وجهه : " إذا سئلت عن علم لا أعلمه فما أبرده على قلبي إن قلت الله ورسوله أعلم " والإمام الشعبي يقول :" من ترك قول لا أدري أصيب مقاتله " ويقول آخر : " العلم خزائن مفاتيحها الأسئلة " عليه فليلتزم المعلم بالسؤال ، حيثما اقتضاه الحال ، ولن يخلو من ذي جواب ، ناطق بالصواب ، وهو الأمر المستطاب ، وفي هذا الباب يقسم الخليل بن أحمد الفراهيدي الناس فيما علموه أو جهلوه "أربعة أقسام : الأول شخص يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاسألوه ، والثاني شخص يدري ولا يدري أنه يدري فذلك ناسٍ فذكِّروه ، والثالث شخص لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه ، والرابع شخص لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه[1].

قال بشار بن برد:

شفاءُ العَمَى طولُ السؤال وإنما ... تمامُ العَمى طولُ السكوت على الجهل

فكن سائلاً عمَّا عناك فإنما ... دُعيتَ أخا عقلٍ لتبحث بالعقل

(١) محمد صالح جان: المرجع السابق ، ص٢٩٧ .

هذا ومن سُئل عن علم يعلمه يلزمه أن يجيب عليه وإلا دخل في الوعيد الشديد لقول المصطفى ﷺ: (من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)[1] أو كما قال ﷺ.

ثالثاً : الصفات الخلقية والنفسية :

أعني بالصفات الخلقية تلك المعاني والقيم التي تقرُّ بقلب الإنسان ثم يصدر بها ، وأعني بالصفات النفسية تلك الأمور التي لا تُرى بالعين المجردة ، ولكنها وبسبب تفاعلات معينة تتبدى مسلكيات وتصرفات معينة ، كنتاج طبيعي لتلك التفاعلات ، وفقاً للمقولة : " كل إناء بما فيه ينضح " وهأنذا أسجل أدناه صوراً من الصفات الخلقية والنفسية التي ينبغي أن يتصف بها المعلم :

[أ] التدين والامتثال : الواجب الأول والرئيس في المعلم أن يكون على خلق ودين ، بحيث تعمق في قلبه قيم ومعاني الدين ، لكي يصدر بها من بعد على نحو مبين ، فلابد للمعلم أن يكون مدركاً وجدانياً جميع المأمورات التي جاء بها الدين ، ويدرك في ذات الوقت المنهيات التي حذر منها الدين ، فيُقبل بالتالي وبالفعل والعمل على امتثال ما أمره الله به ، من إقامة الشعائر التعبدية من صلاة وصيام وحج .. الخ كما يتحتم عليه في المقابل أن ينتهي عن جميع ما نهاه الدين عنه من شرب الخمر ، وارتكاب الفاحشة والكذب والسرقة .. الخ ..

(١) سنن أبي داود، برقم ٣٦٥٨، ٣٤٥/٢، وفي الترمذي وابن ماجة.

وليحذر المعلم كل الحذر أن يقول ولا يفعل ، ويَنْهى ولا يتمثل ، فيدخل عندئذ في وعيد قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢-٣].

فالمعلم الناجح هو الذي ينطبق عليه قولهم : " قدوة ومثال خيرٌ من ألف خطبة ومقال " وهو الذي يعلم طلبته بلسان حاله قبل مقاله كما قال الإمام علي كرم الله وجهه " أوضع العلم ما وقف على اللسان ، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان ... وخير المقال ما صدقه الفعال "[1].

ولله در قول الشاعر :

إذا العلم لم تعمل به صار حُجَّةً عليك ولم تُعذَر بما أنت جاهله

فإن كنتَ قد أبصرت هذا فإنما يصدِّق قولَ المرء ما هو فاعله

[ب] الإخلاص في العمل وإحسانه : واجب على المعلم أن يخلص في عمله ، ويؤدي مهمته على وجهها الأكمل ، وصورتها الأمثل ، والمطلوب منه أن يعني بإنجاز عمله حتى يبلغ به حد الإحسان ، كما جاء في هدي المصطفى العنان: (إن الله كتب الإحسان في كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليرح أحدكم ذبيحته وليحد شفرته).

[ج] الصبر والتحمُّل: الصبر ورد في القرآن مرات عديدات ، لعلها قد تجاوزت السبعين ، وهو خصلة جليلة ، وخلة جميلة ، وعلى ذلك فالمطلوب من

(١) محمد صالح جان: المناهج بين الأصالة والتغريب ، دار الطرفين ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م ، ص١٣٩ .

المعلم أن يتعامل بهذه النافلة طوال مسيرته في عمله ، بل وفي كل حياته لأن مهمة التعلم لا تخلو من مصاعب ومتاعب ، وإحن ومحن ، إلى الحد الذي حدا بأحدهم أن ينشيء شعراً يناقض فيه الشاعر أحمد شوقي في قصيدته التي يباهي فيها بالتعليم والمعلم ، فجاراه هذا في قول مؤلم :

شوقي يقول وما درى بمصيبتي قم للمعلم وفِّه التبجيلا

لو جَرَّب التعليم شوقي ساعة لقضى الحياة شقاوة وخمولا

لكني مع ذلك أجدني مع شوقي في تقريظه للمعلم ومهنته ، وأقول للمعلم أصبر فالصبر مفتاح الفرج وأسليك بقول أخيك :

بالعلم تبلغ ما تريد وبالصبر يلين لك الحديد

[د] الحلم والرحمة : على المعلم أن يكون حليماً حكيماً يصدر في تعامله مع الآخرين سيما طلابه بالرحمة والشفقة ، وعدم القسوة ، وليجعل نصب عينيه أن قدوته في ذلك هو الرسول عليه الصلاة والسلام حيث امتدحه ربّ العزة بالرأفة والرحمة وذلك في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وأمامه كذلك هدي المصطفى صلوات الله

وسلامه عليه حيث قال : (عليكم بالرفق، فإنه لا يك في شيء إلاَّ زانه ، وما ينزع من شيء إلاَّ شانه)[1] أو كما قال .

[هـ] الحزم والحسم : الوسطية مطلوبة ، وديننا الإسلامي هو دين الوسط ، يراعي في الإنسان عنصر الروح وعنصر المادة ، لتكون مسيرته في الحياة وفق المشيئة الإلهية المرادة ، ولهذا فبقدر ما يرجى من المعلم أن يأخذ بجانب الرحمة والشفقة في تعامله مع طلابه ، فكذلك ولكي لا ينفرط العقد عليه أن يكون حازماً في غير عنف، حاسماً في غير ضعف ، أو كما قال الحكيم :

عليك في كل الأمور توسطاً ولا تركب ذلولاً ولا صعباً

ولله در الشاعر :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقسُ أحياناً على من يرحم

[و] طلاقة الوجه والمدح : على المعلم أن يلاقي غيره سيما طلابه بوجه طلق – وهو من شيم الإيمان – لما يبعثه ذلك من روح الأمل والتفاؤل في نفوس طلابه ، وقد كان من ضمن هدي الرسول ﷺ أن قال : (بشروا ولا تنفروا ، يسروا ولا تعسروا)[2].

والبشارة تكون بالقول كما تكون بالفعل . جاء في الحديث : (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)[3] " وروي أن ابن عباس

(١) مسند أحمد بن حنبل، برقم ٢٥٤٢٥، ١٧١/٦. وفي مسلم: (إنَّ الرفق لا يكون في شيء...) الحديث، برقم ٢٥٩٤، ٢٠٠٤/٤.

(٢) أخرجه مسلم، برقم ١٧٣٢، ١٣٥٨/٣، وفي صحيح البخاري.

(٣) أخرجه مسلم .

رضي الله عنهما سُئل عن البر فقال : " وجه طليق ولسان لين "[1]... وقد أخذ ذلك أحد الشعراء فقال :

بني إن البرَّ شيءٌ هين وجه طليق ولسان لين

والمعلم حين يمزح ويمرح ، ويقول النكتة الخفيفة ، والدعابة اللطيفة ، فهو ليس بدعاً في ذلك فقد كان المعلم الأول المصطفى ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً ، فليتأسَّ المعلم به فعلاً وصدقاً . ثم إن من مزايا المزحة أو النكتة إنها تزيل من الطلاب الملل والسأم ، مما يجعلهم ينشطون للتلقي والفهم ، والمعلم نفسه يحتاج إلى الدعابة والمُزحة ، لتكون له فرصة وفسحة ، لتجديد النشاط ليؤدي عمله بهمة وصراط ، وفي هذا يقول البستي :

أفدْ طبعك المكدود بالجدِّ راحةً يَجُمُّ وعَلِّله بشيءٍ من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما تُعطي الطعامَ الملح

رابعاً : الصفات الاجتماعية :

إنَّ مهمة المعلم ومسئوليته ليست لازمة أو قاصرة على المؤسسة التعليمية المعينة التي يعمل فيها ، وأعني بها المدرسة ، وإنما تتعدى مهمته – بالضرورة – إلى سائر أفراد المجتمع ومكوناته .

(١) محمد صالح بن عثيمين: مكارم الأخلاق ، مكتبة الملك فهد ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م ، ص٢٦.
وفي شعب الإيمان للبيهقي، ٢٥٥/٦: قال ابن عمر: "البر شيء هين: وجه طليق، ولسان لين"، وورد في إحياء علوم الدين أيضاً لابن عمر رضي الله عنهما، ٢٩٧/٢.

والمعلم الكفء الناجح هو الذي يستطيع أن يحدد برامجه ، ويرتب مهماته، فيعطي المدرسة حقها ، ويعطي المجتمع حقه كذلك ، وهو إذ يفعل ذلك فإنما يؤدي واجباً يقع في صميم منهج الدين ، وهديه المبين ، قال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧]، وقال النبي الكريم : (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) أو كما قال ، ومن هنا فلابد للمعلم وهو المستخلف بمهمة العلم والتعليم ، أن يقوم بأداء الرسالة ، وتبليغ الأمانة لطلابه ولأفراد مجتمعه على نحو مبين .. وقد يسأل سائل – وهو محق – ما المقصود بالمجتمع الذي تعني ، والذي تنادى بتعليمه وترمي ؟ ودونك الجواب :

تعريف المجتمع :

(المجتمع هو جماعة منظمة من الأفراد يعيشون في مكان واحد ، وتربطهم علاقة قومية واجتماعية واقتصادية وروحية ... ولكل مجتمع عاداته وتقاليده ، وقيمه ومقدساته التي يعتز بها ، ويحافظ عليها لتطويرها وفق مكانته ، كما أن لكل مجتمع مشكلاته التي يسعى لحلها ، وآماله التي يسعى لتحقيقها)[1].

وإذا قد عرفنا حقيقة المجتمع ، ومن قبل ألمنا بحقيقة المعلم ، فإن المطلوب بيان مهمات المعلم تجاه المجتمع:

[أ] أن يقوم المعلم بإلقاء المحاضرات وتقديم الدروس لأفراد المجتمع عبر وسائط الثقافة المناسبة بدءًا من المنزل – لتوعية أفراد الأسرة – ثم المسجد

(١) محمد مزمل البشيرو محمد مالك محمد سعيد: مدخل إلى المناهج وطرق التدريس ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ،ص٥٠.

وهو المؤسسة التعليمية الأولى في الإسلام . ثم الأندية الخاصة ، والساحات العامة ، ويستطيع المعلم أن يقدم في كل واحدة من الوسائط المذكورات الموضوع الذي يتناسب والمخاطبين وفقاً للقاعدة " لكل مقام مقال " وعملاً بالهدي النبوي الجامع: (أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم)[1].

[ب] على المعلم أن يسهم بعلمه عبر وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة – ما استطاع إلى ذلك سبيلاً – لما في ذلك من فائدة أعم ، وعائد أشمل على كافة ساحة المجتمع .

[ج] يمكن للمعلم أن يشارك في تأسيس بعض الجمعيات الثقافية ، والتعاونية ، أو الاشتراك في تأسيسها ، كجمعية تحفيظ القرآن الكريم ، وجمعية المطالعة والقراءة وجمعية المحاضرات ، وجمعية التعاون الزراعي وجمعية تحسين البيئة[2].

[د] يستطيع المعلم أن يكون همزة وصل بين المدرسة والمجتمع خاصة الآباء وأولياء الأمور ، فيكون بذلك عوناً لحل كثير من المشكلات التي قد تواجه الطلاب.

(١) فيض القدير، ٣٧٧/٣، وضعَّفه ابن حجر، وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى، ٣٣٨/١٨: "لم يروه أحد من علماء المسلمين الذين يعتمد عليهم في الرواية".

(٢) عبد المنعم سيد عبد العال: طرق تدريس اللغة العربية ، مكتبة غريب ، القاهرة ، دون ط ، دون ت ، ص ٩ .

[هـ] بوسْع المعلم ومن واقع أخلاقه وحسن سيرته ، أن يساهم بحل الكثير من المشكلات والصراعات ، فيصلح بين المتخاصمين ، ويكون حكماً بين المتشاكسين ، فيجد الرضا من الناس ، والجزاء عند رب العالمين . وما أصدق الشاعر حيث يقول :

من يفعلِ الخيرَ لا يعدَم جوازِيَه ... لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والناسِ

تلك بعض المهام التي يمكن أن يقوم بها المعلم تجاه المجتمع ، واختم هذا المقام بأن أقدم للمعلم هدية معنوية ، تتمثل في أبياتٍ للإمام الشافعي لتكون زاداً له للمزيد ، من العمل المفيد ، وهو مأجور على ذلك بكل تأكيد .

الناس بالناس ما دام الحياة بهم ... والسعد لا شك تارات وهبات

وأفضل الناس ما بين الورى رجل ... تقضي على يده للناس حاجات

لا تمنعنَّ يد المعروف عن أحد ... ما دمت مقتدراً فالسعد تارات[1]

إعداد المعلم وتدريبه :

يقول المثل العربي " قبل الرماء تملأ الكنائن " وهذا المعلم الذي نرنو له – بتوافر أسباب ذكرت – لأن يكون ناجحاً وصالحاً ، لابد من توافر أمرين أساسيين حياله حتى يتسنى له أن يؤدي الرسالة ، ويحقق الغاية . وأعني بهما الإعداد أولاً ثم التدريب ثانياً .

(١) محمد عبد الرحيم: ديوان الإمام الشافعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، دون ط ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، ص٢٩ .

يقول أحد المربين إن مهنة التعليم " هي كغيرها من المهن تعتمد على إطارين : الأول نظري ، والثاني تطبيقي ، والأول متطور متغير ، والثاني كذلك مساير للأول في تطويره وتغيره ... "[1].

أولاً : الإعداد :

المقصود بإعداد المعلم هو التأهيل الأكاديمي الذي يتاح للمعلم مبتدءًا ويطال العلوم والمعارف والخبرات المختلفة ، حتى إذا ما تم تأهيله وفق النظم والمعايير المحددة ،أجيز له أن يمارس مهنة التعليم .

هذا والنظم والمعايير التي يتم في ضوئها إعداد المعلم ، تتمثل في المحاور التالية:

[١] المحور التخصصي: ويقصد به: إخضاع المعني لدراسة طائفة من المواد العلمية ، ذات الصلة بتخصصه ، يتلقى دراستها من أساتذة مختصين بتلك المجالات ، يضاف إلى ذلك تمكينه من الإلمام بالعديد من الخبرات والمهارات اللازمة لتخصصه .

[٢] المحور التربوي: ويُراد به: خضوع المعني لدراسة مجموعة من المواد التربوية مثل : المناهج وطرق التدريس والوسائل التعليمية ، ومناهج البحث التربوي بالإضافة إلى علم النفس العام وعلم النفس التربوي وأصول التربية،

(١) محمد رشدي خاطر وآخرون: طرق تعليم اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة ، دون ناشر ، ط٤ ، ١٩٨٩م ، ص٤٢٣ .

وتاريخ التربية إلى غير ذلك من العلوم ذات البعد التربوي المهني ، والتي تعدُّ الغذاء الرئيس لتأهيل المعلم وتمكينه من ممارسة مهنة التعليم .

[٣] المحور الثقافي: ويُقصد به إعطاء المعني جرعات معتبرة من المعارف العامة ، غير الداخلة في المواد التي يدرسها مهنياً تربوياً أو تلك التي يدرسها تخصصياً ، وتتمثل هذه المواد الثقافية في : اللُّغات ، الثقافة الإسلامية ، المواد الاجتماعية كالجغرافيا والتاريخ .. المهم أن ندرك أن الإعداد بهذا المسار ، يُمكِّن صاحبه من ممارسة مهنة التعليم بكفاءة واقتدار ، إذ أتيح له التمكن من دراسة تخصصه المعَيَّن ، وكذلك التمكن من الإلمام بالمواد التربوية والنفسية اللازمة، بالإضافة إلى أخذه جرعات من الثقافة العامة .. وهذه الصورة المؤطرة ، هي المنهجية المقررة، التي تسير عليها معظم مؤسسات التأهيل التربوي المعتبرة .

ثانياً : التدريب :

أما تدريب المعلمين فهو كما أسلفت يأتي مسايراً لعملية تأهيل المعلم، ذلك أن المعلم حتى بعد أن يتم تأهيله ، فإنه يتم تدريبه ليتمكن تمكناً أمكن من ممارسة المهنة ، ويبدأ هذا منذ قبل تخرجه حينما يوجه لأداء التربية العملية بالمدارس ، فهي بمثابة تجريب وتدريب لكيفية إنقاذ الدراسة النظرية ، على أسس واقعية عملية ، لا سيما وقد جاء أحد التربويين بمقولة مأخذوة من مثل صيني وقد تُرجم إلى الإنجليزية ثم إلى العربية مفادة : " ما أنت تسمعه فأنت تنساه ، وما أنت تبصرة فأنت تتذكره ، أما ما أنت تمارسه فأنت تعلمه "[(١)].

(١) يوسف الخليفة أبو بكر: محاضرات في طرق تعليم اللغة العربية ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ١٩٨٣/٨٢م .

هذا ولما كانت المعارف الإنسانية في تطور واستجداد ، فلابد أن تتاح الفرصة للمعلمين ، القدامى منهم - فضلاً عن المستجدين - من أن ينالوا دورات تدريبية من وقت لآخر ، ومن حين لحين ... وعلى المؤسسة التربوية والمعنية بالتدريب - جامعة أم كلية أم معهد تدريب – أن تحدد الأسس والمعايير والفترة الزمنية للتدريب ، فلرب تدريب يتم في مدى زمني قصير، وآخر في مدى زمني وسيط ، وثالث في مدى زمني طويل ، وأياً كان فالمهم أن يتم التدريب ، بحيث تعطي الجرعات العملية والخبرية المرجُوَّة حسب حاجة المتدربين ، كانت حاجتهم إلى المناهج أو طرائق التدريس أو الوسائل التعليمية أو الإدارة المدرسية ، بحيث يتحصلون في النهاية ، على معارف أكثر وخبرات أوفر ، حتى يكون عائدهم على العملية التعليمية – من بعد – أظهر وأنضر، وذلك هو النصر المؤزر ، والله أكبر .

الفصل الثالث

مسيرة المعلم وزاده

إذا جاز لي أن أشبه مهام المعلم وأعباءه برحلة طويلة (من وإلى) فإنه لضروري - وبديهي – أن يتكفل من يرود القيام بهذه الرحلة بإعداد كل المتطلبات اللازمة لها ، مثل وسيلة السفر والزاد والتماس الرفاق ... الخ، ولا بُدَّ له أن يتوقع – بداية – أن الرحلة سيكون فيها ما يمتع ، وأنها لا تخلو كذلك

مما يلذع ،" فلكل منحة محنة " ، " وكل عطاء يقابله بلاء " ... وعلى هذا الأساس ، وفي ضوء هذه الصورة التي تصلح أن تُجرى مجرى الاستعارة التمثيلية ، أقول إن المعلم وهو يقوم بأداء رسالة الإنسانية العظيمة ، تقتضيه عدة خطوات أساسية يلزمه أن يعدها ليصطحبها في مسيرته ورحلته ودونك بيانها:

[١] استباق النية الصادقة ، والجدية الفائقة ، لممارسة المهنة ، فبمثلما ينوي ويعتزم صاحب الرحلة ، القيام بها ثم يقبل على تنفيذها فكذلك المعلم عليه أن يكون إقباله على مهنة التدريس برغبة وعزيمة ، وقوة شكيمة ، لأن مهنة التدريس مهنة رسالة ، يجب أن يبتدرها الأقوياء القادرون ، لا الضعفاء الهازلون، وهذا يقتضي أن يكون إعداد – هذا الشخص – إعداداً قوياً كاملاً يؤهله لأداء مهمته على أكمل الوجوه .

[٢] الخطوة أو قل المحطة الثانية – وقبل ضربة البداية لانطلاق المسيرة – هي إعداد الدرس وتحضيره من قبل المعلم على أن يراعي فيه كل المتطلبات والمستلزمات التي لابد من الأخذ بها في التحضير ، كما يؤدي مهمته على نحو ظهير ، بحيث يفضي إلى نفع كبير ... **وعليه أن يستصحب معه – ضمن خطوة التحضير الآتي :**

[أ] تحديد الطريقة المناسبة التي سيسير عليها في التدريس ، وقد عُرفت الطريقة بأنها (الأسلوب الذي يسلكه المعلم لإيصال المادة إلى طلابه بأيسر السبل وأقل التكاليف)[1]، وهي بمثابة) فرض عين) في التدريس وبدونها فالدرس باطل .

(١) محمد عبد القادر: طرق تعليم اللغة العربية ، دار المعارف ، مصر ، ط٥، ١٩٩٧م ، (بتصرف) .

[ب] اختيار الوسيلة التعليمية المناسبة ، وتعريفها عندي (أنها الأداة المعينة للمعلم بإيصال المادة إلى طلابه بصورة أيسر ، وتمكن الطلاب من فهم المادة على نحو أفضل) وهي في رأي (فرض كفاية) – لأنها أنواع – إذا أخذ المعلم ببعضها استغنى عن الأخريات.

[٣] الخطوة الثالثة هي الأداء الفعلي بالتدريس داخل الفصل أو الصف، وهنا يلزم المعلم أن يراعي الآتي :

[أ] أن يكون واثقاً من نفسه ، متمكناً من مادته، مرتباً لأفكاره وخطواته، بصورة تجعل زمام الحصة عنده ، وعقول الطلاب وانتباههم معه.

[ب] عليه أن يأخذ بأسباب الحيوية والنشاط بما يجعل الطلاب يتحركون معه ويتفاعلون وذلك من إيجابيات الحصة ، ومن آيات نجاح المعلم.

[ج] أن يحرص أن تكون لغته سليمة ، وطريقة أدائه لها قويمة ، خاصة حين تكون تلك اللُّغة هي العربية ، ومن التزم بذلك من المعلمين ، فهو بحق المعلم الأمل ، الذي يستحق أن يمارس التدريس ويعمل .

[د] أن يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين ، فهي ظاهرة لابد للمعلم أن يدرك وجودها ، ويستوعب صورها وملابساتها ، ومن ثم يعمل على إيصال المعلومات إلى طلابه في ضوء واقعها ، وتأمل كيف كان الرسول ﷺ يعالجها: "قال رجل يقال له أبو رفاعة : انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب فقلت يا رسول الله : رجل غريب جاء يسأل عن دينه ، قال : فأقبل عليّ الرسول ﷺ وترك

خطبته حتى انتهى إليّ ، فأتى بكرسي قوائمه من حديد ، وجلس عليه وجعل يعلمني مما علمه الله ، ثم أتى خطبته فأتم آخرها "[1].

[هـ] أن يستصحب معه – أي المعلم – نظريات علم النفس مثل (التعلم الشرطي " لبافلوف " والمحاولة والخطأ " لثورندايك " وتداعي الأفكار والتي عرفت (منذ أرسطو) ، والتكرار " لواطسون " والتدعيم " لكلارك هل "والكلية ومن دعاماتها " كيرت لوفا .. الخ)[2] وهذه النظريات لازمة للمعلم ومعينة له في معرفة قضايا مهمة ، مثل : عوامل النمو ، ومبادئ علم النفس المتضمنة للخصائص العقلية والجسمية والانفعالية للمتعلم ، كذلك تعرف المعلم بالأسباب الرافدة والداعمة للتعلم .. الخ لكل ذلك فهي – ولا شك – معززة ومفيدة – لعملية التعلم – بصورة جد أكيدة .

[٤] الخطوة الرابعة : التقويم " وهو العملية التي يحكم بها على بلوغ الأهداف المرجوة " إن من اللازم – في حق المعلم – وبالتسليم ، أن يدرك بحق موضوع التقويم ، ويتعامل معه على وجه سليم ، فيدرك على وجه تميم وظائفه وخصائصه وأنواعه وشرائطه وأدواته .. فيطبقها في أدائه ، ويحكم بها بين طلابه ، بعدل وإنصاف ، دون ظلم أو إيجحاف ، شأن من يخاف ، من ربّه الكشاف .

(١) محمد عبد الله الدويش: المدرس ومهارات التوجيه ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط٤ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م ، ص٣٧ .

(٢) سيد خير الله: علم النفس التعليمي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، دون ط، ١٩٨٨م ، ص ٥٧ – ٨٦ .

[٥] هناك مهام أخرى ينبغي أن يستصحبها المعلم في مسيرته ، ويقوم بها ضمن مهمته ، ومن ذلك :

[أ] المشاركة الفاعلة في أنشطة المدرسة وفعالياتها مثل : الجمعيات المختلفة بالمدرسة كالجمعية الأدبية والتربية الإسلامية ، والإذاعة المدرسية، الرياضة البدنية ، الكشافة ، الصحافة الحائطية ، وبالطبع سيكون عطاؤه ومساهمته " حسب ميوله واهتماماته " .

[ب] دراسة المناهج الدراسية ، والخطط التعليمية ، والكتب المقررة، وتقويمها ، واقتراح ما يراه من رؤى حيالها .

[ج] حضور الاجتماعات والمجالس التي تعقدها المدرسة والمشاركة فيها بجدية وفعالية .

[د] التعاون المثمر مع إدارة المدرسة داخلياً ، ومع الموجهين والمشرفين التربويين – خارجياً – بما يحقق المصلحة ، ويقود إلى المنفعة .

[هـ] أن يوطن – المعلم – في نفسه .. فعلاً وعملاً – النية لمواصلة العلم النبيل ، ليحظى منه بشرف التحصيل ، وينال منه الجزيل ، وذلكم هو العائد الجميل ، وليكن شعاره على الدوام ، قول المتنبي:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمرٍ صغير كطعمِ الموت في أمر عظيم

الخاتمة:

وبعد فهأنذا أقدم هذه الدراسة ، وأملي كبير أن تتضمن حاق النفاسة، ويرضى عنها أولو الألباب والكياسة ، بما قد تحتويه من معلومات مفيدة، وأفكار سديدة ، ومحصلة نافعة رغيدة.

وأشهد بأني عكفت على كتابتها بعناء ، ومواصلة لم تك تعرف الاسترخاء، أو الاكتفاء ، كي أقدم عملاً في الصميم ، يتصل بمهنة التعليم، والمعلم الجدير بالتكريم ، وكم له من شأن عظيم ، يستحق عليه الثناء التميم.

والدراسة جاءت في كمٍ معقول ثلاثة فصول ، من المعقول والمقول ، وأرجو الله لها القبول ، ولبيان المحتوى أقول : إن الفصل الأول : يتعلق بشرف المهنة والممتهن وفيه تبيان لماهية المهنة وطبيعتها ، ثم تركيز على عظمتها ومكانتها، مستدلاً لها مما جاء في كتاب الله المبين ، وحديث المصطفى الأمين ، وما جاء في أدب العرب الرصين .

أما الفصل الثاني فيطال المعلم من حيث صفاته ، إعداده وتدريبه . بحيث من توافرت فيه تلك الصفات ، وتحققت لديه هاتيك الدعامات ، يكون هو المعلم الناجح .. الصالح .. الرابح .

ثم جاء الفصل الثالث والأخير ليتسلط الضوء على مسيرة المعلم في صورة رحلة ، وتبدأ بالتحضير ومتطلباته ، مروراً بالتدريس ومقتضياته ، وصولاً إلى التقويم ومحتوياته ، ولم أنس أن أذكر المعلم ببعض مهماته .

ثم كان هذا الختام .. فلك أيها القارئ الهمام شكري وتقديري على الدوام.